تحديث العربية ومستقبلها في سوق لغات العالم

المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

٢٩-٣٠ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٢٥-٢٦شباط ٢٠٠٩م

وليد العناتي *

نظم المجلس الأعلى للغة العربية بالجمهورية الجزائرية ندوة دولية احتفاءً بالذكرى السنوية العاشرة لتأسيسه، وذلك يومي ٢٩-٣٠ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٢٥-٢٦شباط ٢٠٠٩م. وقد شارك في هذه الندوة أكثر من ثلاثين باحثاً وباحثة. وعلى هامش الندوة أعدَّ المجلس عدداً احتفالياً من مجلة "اللغة العربية" بهذه المناسبة، ضم أكثر من خمسين بحثاً علمياً متخصصاً أنجزها نخبة من علماء العربية. كما أعدَّ المجلس "حوصلة" مفهرسة وموثقة بجميع منشورات المجلس ونشاطاته المختلفة منذ انطلاق مسيرته حتى موعد هذه الندوة.

بدأت فعاليات المؤتمر بالجلسة الافتتاحية، التي تحدث فيها الدكتور محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، مستعرضاً أهمية المجلس، ومنزلة هذه الندوة في باكورة نشاطات المجلس الممتدة عشر سنوات من العطاء والتنمية الفكرية والثقافية. كما تحدث وزير الدولة السيد عبد العزيز بلخادم عن رؤية رئاسة الجمهورية لرسالة اللغة العربية في توطين التعريب، وتعزيز الهوية العربية الإسلامية للجزائر.

وبدأت أعمال الجلسة الأولى بورقة قدمها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، رئيس المجمع الجزائري للغة العربية، بعنوان "إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي"، رأى فيها أن إنجاز أي لغة إنما يرتبط بمنجز أهلها الحضاري؛ تقدماً أو تقهقراً، مؤكداً على أن ابتعاد العربية الفصحى عن لغة التخاطب اليومي، إنما مرجعه إلى الجمود الفكري وضآلة الإنتاج المعرفي في الوطن العربي.

* أستاذ اللسانيات المشارك بجامعة البترا الأردنية الخاصة. anati_waleed@hotmail.com

وقدم الوزير الجزائري الدكتور بوعبد الله غلام الله ورقة بعنوان "مستقبل اللغة العربية ورهاناتها في ظل العولمة"، فاستعرض الأسس الاقتصادية للعولمة، وانعكاساتها الثقافية والاجتماعية والتقنية على المجتمع العربي، ثم انتقل إلى المسألة اللغوية والتحديات التي تواجهها العربية في العالم، وكيفية تحصينها لمواجهة هذه التحديات لتحمل رسالتها العالمية، ولتعود لغة عالمية من جديد. واستعرض الأستاذ علي القاسمي من مكتب تنسيق التعريب في الجزائر، منزلة "التعريب في التنمية البشرية"؛ إذ العربية هي اللغة الوحيدة التي تصلح لتنمية الإنسان العربي، وتعزيز دوره ليكون مسهماً إسهاماً فاعلاً في تنمية مجتمعه ورُقِيِّه.

وقدم الدكتور يعقوب الشّرّاح من مركز تعريب العلوم الصحية في الكويت، ورقة بعنوان "تجربة المركز في الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية-العلوم الطبية"، عرض فيها عرضاً مسهباً لتجربة المركز في نقل كثير من المصادر العلمية والطبية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وتوفيرها بأشكال إلكترونية سهلة الاستعمال، ومن أهم أعمال الجمعية: مجلة تعريب الطب، المعاجم والأطالس الطبية، الأدلة الطبية، وسلسلة من الكتب الطبية الحياتية للمستعمل العادي. وقدمت الدكتورة عائدة الأنصاري- الأمينة العامة لمجمع اللغة العربية بالسودان، استعراضاً شاملاً لجهود المجمع السوداني في دعم اللغة العربية، من حيث نشر المصطلحات وتوحيدها، وتعريب التعليم، وإصدار مجلة علمية محكمة تعنى بقضايا العربية المعاصرة.

ولم تغب فكرة عالمية اللغة العربية عن وقائع الندوة؛ ففي الجلسة الثانية من اليوم الأول قدم الدكتور بكري عبد الكريم من جامعة وهران- الجزائر، ورقة عنوانها: "عالمية اللغة العربية: الرؤية والأداة"، حاول فيها الإجابة عن عدد من التساؤلات، وصولاً لكيفية تهيئة العربية لتكون إحدى اللغات العالمية علماً وتعليماً وانتشاراً، ومن هذه الأسئلة: ما هي مظاهر قوة العربية وغناها التي كفلت لها الصمود في وجه التحديات المختلفة؟ وما هي السبل الكفيلة بتنمية ارتباط العربية باللغات الحية والثقافات الأخرى؟ وكيف نجدد العربية ونوسعها لتستوعب العلم الحديث؟ وكان للاعتبارات الاقتصادية منزلة في وقائع الندوة؛ فقد قدم الدكتور وليد العناتي من

جامعة البترا في الأردن، ورقة بعنوان: "أسهم العربية في السوق اللغوية"، فبيّن فيها رؤية لسانية اقتصادية لواقع العربية في البلاد العربية والأجنبية، وأظهر أنَّ ثمة تفاوتاً في الإقبال على اللغة العربية لأسباب اقتصادية خالصة مقارنة باللغة الإنجليزية، وركز على زيادة إقبال الأمريكيين والماليزيين والكوريين والإسبان على تعلُّم العربية لأسباب متفاوتة؛ فمنه ما هو سياسي وآخر ثقافي وآخر اقتصادي.

أما الدكتور محمد غاليم من معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، فقد تناول في ورقته: "بعض مقتضيات تمكين اللغة العربية في مجتمع اقتصاد المعرفة"، جملة من القضايا المترابطة التي تهم تمكين اللغة العربية، وتطويرها، وضمان مستقبلها في مجتمع اقتصاد المعرفة في مستويات اجتماعية وتعليمية وعلمية مختلفة، مركزاً على استثمار منجزات البحث اللساني لترقية البحث في اللغة العربية. وقدم الدكتور مهدي عرار من جامعة بير زيت في فلسطين، ورقة عنوانها "المعجم اللغوي التاريخي... المغيَّب المنتَظَر"؛ إذ استعرض فيها أهمية المعجم التاريخي من حيث دلالته على المعاني القديمة للألفاظ العربية، وإسهامه في الاحتفاظ بالدلالات الجديدة إلى جوارها. ثم قدم الدكتور محمد خاقاني من جامعة أصفهان في إيران، ورقة عنوانها "مكانة العربية في إيران...قديماً وحديثاً"، وفيها أسفر عن التجربة التاريخية للعربية في بلاد فارس منذ بزوغ الإسلام حتى الوقت الحاضر، متناولاً وجوه تعالق العربية بالفارسية، وتاريخ تعليم العربية في إيران، ومؤسسات تعليم العربية فيها.

وفي اليوم الثاني من أعمال المؤتمر عقدت ست ورشات منفصلة ومتزامنة على فترتين؛ صباحية ومسائية، تناولت موضوعين هما: تحديث العربية وإسهامها في المجالين العلمي والتكنولوجي. ومستقبل العربية في سوق اللغات.

ففي الفترة الصباحية توقف محمد اليملاحي- باحث من المغرب، في ورقته "تجليات الثقافة العربية في الصناعة المعجمية"، عند أثر الثقافة العربية في صناعة المعاجم، متخذاً عمل علي القاسمي "معجم الاستشهادات" مثالاً دالاً؛ إذ ركز على دراسة هذا المعجم من منظور منزلته بين مؤلفات علي القاسمي، ثم منزلته في الحركة المعجمية العربية، مستعرضاً الأسس النظرية لمعجم الاستشهادات وأبعاده التجريبية. وركزت

ورقة الدكتور رشيد بن مالك، مدير مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر، على "إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي في الدراسات النقدية العربية المعاصرة"؛ إذ اتخذ هذا المجال من المصطلحات نموذجاً على اضطراب الواقع الاصطلاحي العربي، وتعدد إشكالاته، وغياب التنسيق، وما يترتب على ذلك من هدر للطاقة والوقت.

وقدّم الدكتور عبد القادر فضيل- باحث في علوم التربية- الجزائر، ورقة بعنوان "واقع تدريس اللغة العربية في مدارسنا وسبل تطويره"، ودلَّ فيها على الاختلالات التربوية في تعليم العربية في المراحل الدراسية الدنيا من حيث التخطيط والتدريب والتنفيذ؛ إذ توقف عند كثير من الممارسات الخاطئة في تعليم العربية وإعداد مقرراتها، وتنفيذ سياساتها التربوية، وانتهى من ذلك إلى رؤى مستقبلية يتشوف فيها ما ينبغي أن يكون عليه تعليم العربية لأبنائها في هذه المرحلة التأسيسية.

وقدّم الدكتور عبد الجليل مرتاض من جامعة تلمسان- الجزائر، ورقة عنوانها: "السبعة أحرف في ضوء العولمة اللسانية"، تناول فيها عدداً من المفاهيم اللسانية (اللسان والدال والمدلول)، وصولاً إلى استعراض تجربة العربية في مواجهة التحديات، منتهياً إلى تحديات العولمة ولاسيما في سياقها الإعلامي، ومدى تأثر العربية إيجاباً وسلباً بالمد الفضائي العولمي.

أما الدكتور أحمد بوطرفاية- رئيس جامعة وَرْقَلة- الجزائر، فقد تناول في ورقته "اللغة العربية وسهام العولمة" منزلة اللغة في إنجاز التواصل البشري في المجتمعات المختلفة، وتعبيرها عن فكر ذلك المجتمع، وانفعالها بما يصيب المجتمع، متوسلاً بذلك سبيلاً للوقوف على التحديات التي أفرزتها العولمة في وجه العربية، مؤكداً، كغيره من الباحثين، ارتباط منزلة اللغة ورقيّها أو انحدارها بالناطقين بتلك اللغة.

وقدّم الدكتور بومدين بوزيد من جامعة وهران- الجزائر، في ورقته: "اللغة العربية والحياة" تصوراً لطبيعة العلاقة النفسية التي تربط العربي بلغته، من حيث هي انعكاس لأصول تفكير العربي وعلاقته بالطبيعة وبالله من خلال المفردات وتركيب الجملة، وكيفية تطور ذلك في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.

وفي ورقته المعنونة: "المعجم التاريخي للغة العربية" استعرض الدكتور صالح بلعيد من جامعة تيزي وزو- الجزائر، المعجم التاريخي منذ نشأته، متناولاً منهجية بناء المعجم التاريخي، وكيفية إنجازه، وأهمية إنجازه للغة العربية. وقدّم الدكتور أبو الفضل محمد بن هندة- أستاذ العلاقات الدولية في باريس، ورقة وسمها بـ "اللغة العربية بين عبقريتها وتقاعس أبنائها"، واستعرض فيها مقولات اللغات المهددة بالانقراض، مستثنياً العربية من ذلك لارتباطها بالإسلام، وقدرتها على الانتشار معه، إضافة إلى أسباب لغوية كامنة في بنيتها وخصائصها التركيبية التي تضمن لها البقاء، وتساعدها على الاستجابة لمقتضيات التطور والحداثة.

وكان للسانيات الحاسوبية نصيب من أوراق الندوة؛ فقد قدّم الدكتور الهادي شريفي من جامعة تلمسان- الجزائر، ورقة عنوانها: "النشر الإلكتروني باللغة العربية... واقع وآفاق"، وفيها استأنف الباحث النظر في الفرق بين النشر الورقي والنشر الإلكتروني، ومنزلة العربية في سوق النشر الإلكتروني، وكيفية التغلب على صعوبات النشر الإلكتروني باللغة العربية، أكانت صعوبات تقنية أم لغوية أم أخرى. وقد صرف الباحث جهداً لبيان مفهوم الوثيقة الإلكترونية وقضاياها الأخرى. وقدّم الدكتور مصطفى حركات من جامعة الجزائر، ورقة عنوانها "المعالجة الآلية لضوابط الكتابة العربية" تناول فيها وجوه قضية الضبط الآلي للنصوص، والصعوبات التي واجهت إدخال الحرف العربي والحركات إلى الحاسوب، وجعل ورقته جواباً عن سؤال عريض: لماذا نضبط النصوص العربية؟

ويتجدد موضوع العربية والعولمة ومنزلة العربية ووظيفتها الإعلامية، وأهميتها في عصر المعلومات، وذلك في ورقة الدكتور رشيد حليم من جامعة الطارف في الجزائر، المعنونة بـ "العربية.. وظيفتها ومقامها في عصر العولمة والمد الإعلامي". وقدّم الدكتور مهدي عرار من جامعة بير زيت- فلسطين، ورقة عنوانها: "معوقات دور العربية في تعزيز الهوية"، تحدث فيها عن التحديات التي تواجه العربية في فلسطين من حيث هي لغة السكان الأصليين، وما تمارسه سلطات الاحتلال الإسرائيلي في سبيل تهويد اللغة والمحيط.

وقُدّمت في الجلسة المسائية خمس أوراق، استهلها الدكتور محمد ناصر بوحَجَّام من جامعة باتنة في الجزائر، بورقة بعنوان "راهن اللغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها"، وفيها شخّص واقع اللغة العربية في الوطن العربي من حيث التحديات التي تواجهها، ولاسيما في المغرب العربي والجزائر، منتهياً إلى سبل تدعيم وجودها وتطويرها لمواجهة هذه التحديات، لتستعيد مكانتها ومنزلتها الفكرية التليدة. وقدّم الدكتور سالم المعوش من جامعة بيروت في لبنان، ورقة عنوانها: "تناوبات التشكل واللاتشكل على اللغة العربية"، استنفد فيها القدرات الكامنة في العربية التي تجعلها قابلة لاستيعاب ما هو جديد من المصطلحات والمفردات والمعارف على مرّ الزمن؛ فهو يستعرض تجربة العربية الحضارية من خلال هذين المصطلحين الاقتصاديين، بالنظر في حياة العربية الاجتماعية، وتفاعلها مع اللغات الأخرى.

واستدلَّ الدكتور عبد الرزاق عبيد من جامعة الجزائر، على إمكانية ترجمة النصوص المشحونة بالدلالات الثقافية من لغة إلى أخرى بإمكانية ترجمة الأمثال والحكم؛ وذلك في ورقته: "ترجمة الأمثال والحكم من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية: المشاكل والحلول". وتناول الدكتور محمد الينبعي من جامعة فاس في المغرب، في ورقته "اللغة العربية في أوطانها بين تحدياتها وآفاقها"، التحديات الإعلامية والتعليمية والإدارية التي تعترض العربية، منتهياً إلى مقترحات ضرورية لتجاوز هذه العقبات منها: تعريب المحيط، وتطوير المناهج، وتفعيل دور المجامع اللغوية. وعاد الدكتور محمد خاقاني ليقدم استعراضاً لتاريخ اللغة العربية في إيران تعليماً وتعلماً.

وتضمنت الجلسة الختامية ورقة للدكتور الخليل النحوي من موريتانيا، استعرض فيها منزلة اللغة العربية في قارة إفريقيا، من حيث هي لغة كتابة كثير من اللغات الإفريقية، ولها علاقات وثيقة بلغات القارة. وأكد ضرورة استثمار هذه العلاقة لتمكين العربية من أن تكون لغة تواصل في هذه القارة. وتمّ بعد ذلك تلاوة البيان الختامي، والتوصيات، وأبرز ما جاء فيها:

١. دعوة الدول العربية إلى اتخاذ قرار ملزم باستخدام اللغة العربية في كل المجالات، بما يجعل منها اللغة الأساسية للتواصل والتعليم بمختلف مراحله، وخاصة في

التعليم العالي، ومجالات التواصل الأساسية، ووضع مخطط مرحلي لتعميم التعريب، واتخاذ إجراءات مرحلية تساعد على تحقيق هذا الهدف خلال فترة انتقالية لا تتجاوز عشر سنوات.

٢. دعوة الدول العربية والمنظمات والهيئات والاتحادات القطرية والقومية، وفي مقدمتها جامعة الدول العربية إلى إعلان عام ٢٠١٠ سنة عربية للتعريب.

٣. دعوة الحكومات العربية والمنظمات والهيئات والاتحادات القطرية والعربية والأحزاب الوطنية وسائر مكونات المجتمع المدني إلى العمل الجاد على غرس الاعتزاز باللغة العربية في نفوس المواطنين، وخاصة الأجيال الناشئة، وذلك بكل الوسائل والطرق الممكنة بما فيها المهرجانات والشعارات والتوعية عبر المدارس والجامعات ووسائل الإعلام ونوادي الشباب والثقافة.

٤. دعوة الجامعات ومراكز البحوث إلى مزيد من العناية باللسانيات الحاسوبية بحثاً وتطبيقاً وتدريساً وتأهيلاً، بما يساعد على استخدام اللغة العربية لدخول مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية البشرية.

٥. دعم الجهود التي تبذلها المجامع والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأجهزتها المختصة، وفي مقدمتها مكتب تنسيق التعريب في مجال وضع المصطلحات، وتوحيدها، وتقييسها، وإشاعتها.

٦. دعوة الجامعات، ومراكز البحوث، والمنظمات، والهيئات الوطنية والقومية إلى الاهتمام بالقضايا النظرية والمنهجية في وضع المصطلحات، وتأليف المعاجم المختصة والعامة.

٧. العمل باستمرار على تطوير طرائق وأساليب تدريس اللغة العربية في التعليم العام، وذلك في اتجاه جعل المتعلم محور العملية التعليمية والتعلميّة، وإكسابه المهارات اللغوية الأساسية، وتنمية قدراته على استخدام اللغة أداة طيّعة للتعبير الوظيفي والإبداعي تحدثاً وكتابة.

٨. الدعوة إلى إنشاء مجلس أعلى للغة العربية لدى جامعة الدول العربية، لتنسيق سياسات الأقطار العربية وجهودها في النهوض باللغة العربية.

٩. بعث جهاز عربي لبحوث تعليم اللغة العربية وتطويرها، من مهامه رصد التجارب العربية والأجنبيّة الرائدة، والتعريف بها، والتدريب عليها، وتأمين تعاون تربوي وعلمي فعّال بين الأقطار العربية في مجال تدريس اللغة العربية.

١٠. زيادة الاهتمام بالترجمة العلمية والتكنولوجية، بما يسدّ حاجات الجامعات، وقطاعات الإنتاج من الكتب المرجعية والتعليمية اللازمة.

١١. التشجيع على إنشاء جمعيات أهلية للعناية باللغة العربية، وتحبيبها إلى المواطنين والناشئة.

١٢. تنظيم علاقات اللغة العربية مع اللغات الأجنبية، وتحديد أدوار كلّ منها في الأقطار العربيّة، بما يجنّب الثنائيّة المفقرة للغة العربية، وأن تحلّ لغتنا محلّها الطبيعي في كل المجالات.

١٣. فرض اللغة العربية في المدارس الخاصة بحصص ومقررات كافية لإكساب المتعلمين مهارات اللغة العربية، ولتأمين تعلّقهم بها.

١٤. دعوة الجهات الوطنيّة والإقليمية المعنيّة -وفي مقدّمتها الجامعات والمنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم والمنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إلى زيادة الاهتمام بنشر اللغة العربية للناطقين بغيرها بين المسلمين والأجانب.